المملكة المغربية
وزارة الداخلية
إقليم تيزنيت

بلدية تيزنيت

كلمة السيد رئيس المجلس البلدي

لمدينة تيزنيت

بمناسبة افتتاح

اليوم الدراسي حـــــول: " مؤهلات منطقة تيزنيت التراثية وآليات الحفاظ عليها"

تيزنيت – 22 دجنبر 2012

السادة الأساتذة،

السيدات والسادة طلبة ماستر تراث وتنمية،

السيدات والسادة المنتخبون،

أيها الحضور الكريم،

نحن سعداء اليوم باستضافة طالبات وطلبة الماستر "تراث و تنمية" بمدينة تيزنيت. وسعداء كذلك اليوم باستقبال الأساتذة الباحثين من جامعة ابن زهر ومؤطري هذا اليوم الدراسي حـــــول: "مؤهلات منطقة تيزنيت التراثية وآليات الحفاظ عليها .

وسعداء كذلك أن نتقاسم معكم جميعا بجانب فعاليات المجتمع المدني بالمدينة القديمة تجربة المجلس البلدي لمدينة تيزنيت في مجال تثمين التراث وإشراك المجتمع المدني في المشاركة في القرار المحلي، وبالخصوص في مجال مبادرات الأحياء وتأهيل المدينة العتيقة

إن المدينة القديمة باعتبارها النواة الأولى للتمدن قد تم إنتاجها في سياق تاريخي يمتاز بخصوصيات ثقافية واجتماعية واضحة، أفرزت شكلا معماريا ومورفولوجيا حضرية متميزة تعكس ثقافة التضامن وحسن الجوار والتلاقي، وتحترم في ذات الوقت الخصوصيات الدينية وتفرز أشكالا هندسية في غاية البساطة انطلاقا من مواد محلية للبناء، تكاد لا تميز بين الغني والفقير في مظهر السكن،

وتتستر لسلوكيات السكان وتحترم خصوصياتهم بتعمد إغلاق المنازل على الخارج وانفتاحها على السماء من الداخل.

واستمرت سيرورة انتاج السكن إبان الحماية وبعد الاستقلال داخل المدن القديمة بسرعة، وتحررت المبادرة في البناء بهدف امتصاص أزمة السكن، فازداد الضغط على العقار ، وظهرت مقاربات تحقيق الربح على حساب قواعد التدبير الحضري المتوازن. فظهرت أشكال هندسية وأنماط بناء دخيلة على الثقافة المحلية. وانكمشت الخصوصية في الثقافة الحضرية.

فظهرت بجانب المدينة القديمة مدينة "حديثة" أو مدينة "أورو مغربية" بحاجيات ومتطلبات ومستلزمات تجهيزية جديدة كتوسيع شبكة الطرق وتوفير الإنارة والربط بشبكة الماء والتطهير السائل، وغيرها من الخدمات الجماعية التي تؤكد الأهمية الوظيفية للمجال، والتي أثرت على مورفولوجيا المدينة القديمة... وساهمت في ذات الوقت في تقليص المجالات الطبيعية وانكماش المساحات الخضراء والمزارع داخل المدينة بجانب تحول في الوظائف الحضرية.

فالتغيير في الشكل وفي مضمون ومحتوى ووظائف المجال داخل المدينة القديمة بالخصوص يعكس بجلاء أزمة في الإعداد وفي التصور وفي إنتاج المجال.

فإنتاج المجال عبر التاريخ يرسم بصمات ظاهرة وجلية تعتبر مرآة تعكس خصوصية صانعها ومنتجها ونمط تفكيره ومنطق تواصله. وهي بصمات يصنعها المعماري أو المهندس أو المخطط أو المواطن أحيانا بإبداع وحس فني وأحيانا أخرى دونه .

إن تحقيق الاندماج والتجانس والتواصل بين الإنسان والمجال داخل النسيج العمراني الأصيل يتطلب اعتماد مقاربة تشاركية تشاورية تكون نتاج معرفة بالمجال وإدراك لخصوصياته التاريخية والثقافية والاجتماعية والبيئية . ويتم تدبيرها بناء على أولويات في التدخل وعلى تشخيص للحاجيات الاجتماعية والثقافية والبيئية للساكنة.

إن جودة الحياة في جودة المجال.. وبالتالي فالمواطن ينتظر من الفاعل السياسي ومن المسؤول الجماعي في تعامله مع المجال أن ينتقل من التطبيق المعياري ومن التعمير الإجباري إلى تعمير توافقي يعتمد منهجية تحسين أداء المساهم في صنع المجال مهندسا معماريا كان أو مقاولا أو مخططا ... لكي يدمج في تصوراته حق المواطن في المشاركة في إنتاج المجال وإبداء رأيه في الخيارات والأولويات... والانتقال بالمواطن المستهلك للمجال من وضعية "المفعول به" إلى موقع الفاعل والمؤثر.

ومدينة تيزنيت تتميز عن غيرها من الحواضر بكون مدينتها العتيقة محاطة بسور تاريخي يعتبر آخر التحصينات

العسكرية المشيدة بالمغرب ما بين 1882 و1886 . ولهذا السبب صنفت المدينة العتيقة ضمن التراث الوطني منذ عام 1932.

ويصل عدد سكان مدينة تيزنيت إلى حوالي 60.000 نسمة. أكثر من 50٪ منهم يقطنون المدينة العتيقة، والتي تستضيف في ذات الوقت ما يقرب من 80٪ من أنشطتها الحضرية.

تيزنيت هي كذلك من المدن التاريخية القليلة التي تتوفر على واحة "مزارع تاركا" مندمجة اندماجا كاملا في المجال الحضري للمدينة العتيقة.

واحة تيزنيت تمتد على ما يقرب من 70 هكتارا إلى الشمال الشرقي من المدينة العتيقة .والفلاحة التقليدية ما تزال تشغل أكثر من 500 أسرة حضرية بالمدينة.

بالإضافة إلى الفلاحة البيولوجية التي تميز الأنشطة التقليدية لمزارع تاركا، تشتهر تيزنيت كذلك بحرف مرموقة، وهي أساسا إنتاج المجوهرات الفضية والجلود (صناعة النعال السوسية التقليدية) .

إن إعادة الاعتبار للتراث الحضري يأخذ بعين الاعتبار ضمن منظومة متكاملة ومنسجمة:

- التراث المادي (المآثر التاريخية والبنايات ذات الحمولة الثقافية والتراثية)
- التراث الغير المادي (المهن والمهارات)
- التراث الطبيعي (مزارع تاركا)

إن التراث مصدر للتاريخ. فهو مرآة للتنوع الثقافي والإثني واللغوي. ولكنه في ذات الوقت تعبير عن فعل الزمن وتأثيره على المجال وعلى الإنسان من خلال بصمات الذكرى والذاكرة.

إنه إحياء للهويات وتسليط للضوء على تطلعات المجتمعات، التي بنت وشيدت المدن، لقيم التمدن والانسجام والانفتاح والاستدامة."

من هذا المنطلق، يبدو لنا التمييز القائم بين التراث المادي وغير المادي أو بين التراث الملموس وغير الملموس، في حاجة إلى تدقيق.

فتسجيل بصمات التراث في الزمان والمكان يستدعي اليوم منظومة عمل متكاملة وتدخلات تنطلق من العناصر التالية :

أولا: التشخيص، Inventaire

ثانيا: المحافظة، Conservation

ثالثا: الإبداع والابتكار، Création

رابعا :التثمين valorisation

وقد حرصت المدينة منذ سنة 2004 على إطلاق مشروع إعادة الاعتبار للتراث من خلال 6 محاور:

1. المحور الأول: تهيئة محيط العين الزرقاء (إعادة إحياء الأسطورة المؤسسة للمدينة)،
2. المحور الثاني : تهيئة ساحة المشور والساحات والأزقة المجاورة لها ،
3. المحور الثالث: إعادة الاعتبار للتراث البيئي(تهيئة واحة تاركا)
4. المحور الرابع: إعادة تأهيل وترميم التراث المادي(تأهيل وترميم البنايات ذات الحمولة التراثية والثقافية بالمدينة العتيقة)،
5. المحور الخامس: إعادة الاعتبار للتراث الغير المادي (الحرف والمهارات) .. تأهيل الصياغة الفضية..
6. المحور السادس : تهيئة مداخل المدينة وجنبات السور التاريخي

وفي هذا الإطار هيئت المدينة مناطق للحماية والتهيئة secteurs sauvegardés

1. منطقة العين الزرقاء والجامع الكبير، قصبة أغناج
2. منطقة ساحة المشور، القصر الخليفي، القصبة الإدارية
3. باب تاركا، الرابط العضوي مع مزارع تاركا
4. منطقة سيدي بوجبارة
5. فوق الواد، شارع سيدي عبد الرحمان
6. ساحة الكوفة، السوق الأصيل، سوق سي بلعيد
7. المستشفى والشوارع والواجهات

فما هو الدور الأساس الذي ستلعبه المدينة و سياساتها في إطار جهوية متقدمة نص عليها الدستور، من خلال التركيز في فصول عديدة على ضرورة تأمين " مشاركة السكان المعنيين في تدبير شؤونهم والرفع من مساهمتهم في التنمية البشرية المندمجة والمستدامة" (الفصل 136)؟

وما هي أشكال التعاون والتشارك الممكنة بين مختلف المتدخلين ؟ وما هي الصورة التي يريد السكان المعنيون رسمها للمدينة في ارتباطها بالتراث ؟ بل و ما هي السياسة الحضرية التي نريد تحديد معالمها للنواة العتيقة لمدننا التاريخية؟

أكيد أن مختلف المداخلات المبرمجة في إطار هذا اليوم الدراسي ستتمكن من الإحاطة بالإشكاليات العديدة المرتبطة بإعادة التأهيل المتكامل للمدن العتيقة، في أفق تعميم وتنفيذ أحسن وأجود الطرق التدبيرية للأنسجة الحضرية العتيقة.

فالتطرق في هذا اليوم الدراسي لتاريخ المدينة يؤكد أن المدينة مجال تسجل فيه بصمات التراث في الزمان والمكان ، كما أن الحديث عن دور التراث الثقافي غير المادي في التنمية يشير إلى أهمية التعايير الثقافية داخل المدينة وإلى أهمية الحرف والمهارات في صقل التوجهات التنموية للمدينة. وهذا يحيلنا على أهمية متحف التراث كمكان لحفظ الذاكرة وإلهام الأجيال القادمة.

إننا فعلا حريصون على خلق مدار سياحي يعرف بالتراث المادي والطبيعي واللآمادي للمدينة، من خلال:

- جعل العين الزرقاء والجامع الكبير محورا رئيسيا في المدار السياحي
- إنشاء نظام للتشوير يمكن من جذب الزوار نحو قلب المدينة الأصيل (النواتين التاريخيتين)
- خلق صلة وصل بين منطقة العين الزرقاء والجامع الكبير وواحة المدينة (مزارع تركا)

كما أننا نتوخى من إعادة الاعتبار للتراث الطبيعي "تاركا":

- حماية الواحة باعتبارها رئة المدينة ومتنفسها
- إعادة الاعتبار للأنماط الفلاحية التقليدية
- دعم الفلاحة البيئية

ومن خلال تأهيل التراث المادي ذي القيمة التراثية والتاريخية، نهدف إلى:

- ترميم البنايات التقليدية ذي الطابع المعماري الأصيل
- رد الاعتبار للبنيات التقليدية ذات الأهمية بالمدينة

وفي مجال تحسين الهوية الجمالية للمدينة، فنحن نتطلع إلى:

- إعداد الأرصفة وتهيئة الأسواق التقليدية والساحات (تكسية وإنارة وتأثيث حضري ملائم)
- ربط الوظيفة الثقافية والتراثية بدينامية تأهيل البنايات
- تشجيع الأنشطة المنسجمة مع الوظائف الجديدة للساحات العمومية بالمدينة العتيقة

وفي سياق الحفاظ على التراث الغير المادي للمدينة ، والمتمثل في الحرف والمهارات ، نتوخى دعم أنشطة الصناعة التقليدية، وخصوصا الصياغة الفضية والجلد.

وأتمنى أن يكون هذا اليوم الدراسي فرصة لسبر أغوار المؤهلات التراثية لمنطقة تيزنيت وآليات الحفاظ عليها.

وشكرا